حديث الفرق

د. محمد حسن خليل أبو حطب

كان العرب قبل الإسلام ف حالة فوضى وشتات فكرى وسياسى واجتماعى وكان فيهم أتباع لكل دين الحى كان أو وضعى ، وكانوا أبعد ما يكون عن الاعتصام حول كلمة واحدة،وجاء الإسلام بدعوة التوحيد فأنار القلوب وهدى النفوس وبين الرشد من الغى والحق من الباطل،ودعا المسلمين إلى الاعتصام حول حبل الله المتين ، وأن يكونوا أمة واحدة متحدة ونهاهم عن الفرقة والخلاف[واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا](١) [وان هذه أمتكم أمة واحدة] (٢) .

وببركة المصطفى عليه الصلاة والسلام لم يحدث بين المسلمين فى أثناء حياته تفرق أو تمزق لأنه كان المرجع لهم فى كل أمورهم ، ولكن بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بدأ الخلاف بينهم والذى هو سنة من سنن الله سبحانه وتعالى فى الذين خلوا من قبل [فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا] (٣) و [سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا] (٤) .

هذا الخلاف الذى نشأ بين المسلمين لا يصح أن ينسب إلى الإسلام كدين وانما الواجب نسبته إلى أتباعه الذين تفرقوا شيعا وأحزابا. واذا

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣
(٢) سورة المؤمنون الآية ٥٢
(٣) سورة فاطر الآية ٤٣
(٤) سورة الأحزاب الآية ٦٢

كان الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضيــــة كما يقال إلا أن التعصب الممقوت والمذموم والذي صاحب هذا التفرق وذاك الخلاف أخرج هذا الأمر من نطاقه المحدود والمشروع إلى متاهات ومتاهات لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى ، والتي اكتوى بنارها المسلمون في كل مكان .

وبذلك سار المسلمون على نهج من كان قبلهم من الأمم فاختلفوا مثلهم على فرق شتى .

وقد أخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ذلك وهذا من معجزاته عليه السلام لأنه اخبار بأمور ستقع في المستقبل وهو اخبار بالغيب .

فقد روى عن رسول الله ﷺ حديث خاص بافتراق أمته إلى فرق كثيرة .

وقد اختلف العلماء الذين تناولوا الفرق الإسلامية بالدراسة والبحث حول هذا الحديث ، بالقبول والرفض .

وهذا الحديث قد روى بعدة روايات مختلفة ، ونحن هنا سنذكر بعضا منها اكتفاء بهذا البعض عن الباقي ، حيث أن ما سنذكره يعطى نماذج لكل الروايات التي روى بها هذا الحديث .

روايات الحديث :

١ — حدثنا الحسين بن حريث ابو عمار ، حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : [تفرقت اليهود على احدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة] .

قال أبو عيسى (الترمذى) حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح .

٢ — حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا ابو داود الحضرى عن سفيان

الثورى ، عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقى ، عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو ، قال : [قال رسول الله ﷺ : ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى أن كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك ، وان بنى إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة ، كلهم فى النار الا ملة واحدة ، قالوا : ومن هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى] .

قال ابو عيسى (الترمذى) هذا حديث مفسر غريب لا يعرف الا من هذا الوجه(١) .

٣ — حدثنا أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى قالا : حدثنا ابو المغيرة ، حدثنا صفوان . وحدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا بقية قال: حدثنى صفوان نحوه .

قال : حدثنى أزهر بن عبد الله الحرازى ، عن ابى عامر الهوزنى ، عن معاوية بن ابى سفيان أنه قام [فينا] فقال :[ألا ان رسول الله ﷺ ، قام فينا فقال : ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة ، وهى الجماعة] زاد ابن يحيى وعمرو فى حديثهما : أنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه(٢) .

---

(١) روى الترمذى هذين الحديثين فى : الجامع الصحيح (سنن الترمذى) باب الإيمان (باب ما جاء فى افتراق هذه الأمة) أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة : جـ٥ صـ ٢٥ ، تحت رقم ٢٦٤٠ الحديث الأول ، والثانى تحت رقم ٢٦٤١ ، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوه عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م ط ٢

(٢) روى هـذا الحديث أبو داود [الإمام الحافظ أبو داود سليمان ابن الاشعث السجستانى الازدى] فى سننه [سنن ابى داود] المجلد الخامس =

٤ — حدثنا عمرو بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي ، ثنا عباد بن يوسف ، ثنا صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك ، قال: [قال رسول الله ﷺ : افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، فاحدى وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، والذي نفس محمد بيده لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار ، قيل يارسول الله : من هم ؟ قال : الجماعه](١) .

هذه روايات أربع لحديث الفرق ، أسانيدها تنتهي إلى الصحابين

= باب شرح السنة ، إعداد وتعليق عزت عبيد وعادل السيد ، دار الحديث حمص ، سوريا ، وقد روى أبو داود حديث الترمذي الأول في سننه ، متفقا معه في محمد بن عمرو وأبي سلمة وأبي هريرة ، وأضاف أبو داود اليهم وهب بن بقية عن خالد الخ .

وقد رواه أيضا في باب شرح السنة تحت رقم ٤٥٩٦ ، وحديث أحمد ابن حنبل تحت رقم ٤٥٩٧ ، تجارى : بحذف احدى التاءين : أى تدخل وتسري تلك الأهواء : أى البدع فيهم

(١) روى هذا الحديث ابن ماجه [الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني] في سننه [سنن ابن ماجه] جـ ٢ باب افتراق الأمم ، صـ ١٣٢٢ تحت رقم ٣٩٩٢ حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، وقد روى ابن ماجه حديث الترمذي الأول ، بطريق أبو بكر بن أبي شيبة ثنا محمد بن بشر ثنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وتحت رقم ٣٩٩١ ، باب افتراق الأمم جـ ٢ صـ ١٣٢١ وروى حديثا ثالثا ينتهي طريقه الى أنس بن مالك ، ومضمونه هو مضمون الحديث المروى عن عوف بن مالك تحت رقم ٣٩٩٣ جـ ٢ صـ ١٣٢٢

الجليل أبي هريرة ، والصحابي العالم الورع عبد الله بن عمرو ، والصحابي كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان ، والصحابي الجليل عوف بن مالك ، رضي الله عنهم أجمعين .

وهذا الحديث برواياته الأربع — وإن أجمع على الافتراق — إلا أنه لا يجمع على أن الكل هالك ما عدا واحدة هي : الجماعة ، التي هي مقتدية بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه (ما أنا عليه وأصحابي) ،

ونلاحظ أن هذا الحديث لم يرد في الصحيحين ، البخاري ومسلم [ثم إنه لم يرد في واحد من الصحيحين : البخاري ومسلم ، حقيقة أنه قد رواه أبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان](1) .

[والحديث ورد بروايات متعددة عند : أبي داود . السنة ، رقم ١ ، والترمذي ، باب الإيمان ، رقم ١٨ ، وابن ماجه ، باب الفتن ، ١٧ ، كما ورد في مسند أحمد وعند الحاكم](2) .

ولذلك فإننا نجد بعض العلماء يحكم على هذا الحديث بالضعف ، ويرفض الاعتماد عليه والبعض الآخر يرى أنه روى بروايات متعددة ، تنتهي أسانيدها بصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام وعليه فإنه يعتمد عليه ويوثق به (وقد رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة ، كأنس بن مالك ، وأبي هريرة . وأبي الدرداء ، وجابر ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي بن كعب ، وعبدالله بن عمرو بن العاص ، وأبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع ، وغيرهم ، وقد روى عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقاً ،

---

(1) التفكير الفلسفي في الإسلام : الدكتور عبد الحليم محمود ص١٠٦ ج١ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٥

(2) دراسات في الفرق الإسلامية ، الشيعة ص١١ ج١ دكتور محمود محمد مزروعة دار الطباعة المحمدية ط ١ : ١٩٧٨م

وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة ، وسائرها على الضلال فى الدنيا والبوار فى الآخرة)(١) .

وبناء على الاختلاف فى روايات الحديث المتعددة والمختلفة . فإنه قد وقع الاختلاف بين العلماء بخصوص هـذا الحديث ، ونوضح ذلك فيما يأتى :

١ — رفض الحديث ورواياته المتعددة :

ويعتمد من رفض الحديث ولم يقبله على شكه فى الإسناد ، ولضعف طرقه فى رأيه ، ويقف ابن حزم الظاهرى على رأس هذا الفريق ، ويرى عدم الاحتجاج به .

[قال أبو محمد : وذكروا ... حديثا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة فهى فى الجنة .

قال أبو محمد : هذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد ، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد ، فكيف من لا يقول به](٢) .

---

(١) الفرق بين الفرق ، وبيان الفرقة الناجية منهم . عبـــد القاهر البغدادى ص ٥ دار الآفاق الجديدة بيروت .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ابن حزم الأندلسى الظاهرى ، جـ٢ ص٧٨ ، مكتبة السلام العالمية

٢ — قبول الحديث مع الالتزام بالعدد الوارد فيه :

وهذا الفريق قبل الحديث ، وهو فى نظرهم حديث يعتمد عليه ، والروايات المتعددة التى ورد بها يقوى بعضها البعض الآخر [وعلى الرغم من إختلاف الروايات فيها إختلافا يصل فى بعض حالاته إلى التضاد .. فإن الكثيرين من المهتمين بالكتابة فى الفرق قد اهتموا بها إهتماما زائداً . وكأنى بهم يريدون أن يتخذوا من هذه الأحاديث سندا يرتكزون عليه فى تقسيمهم الأمة إلى شيع وأحزاب ، وتحديد هذه الشيع من حيث العدد، وبيان حكمهم من حيث النجاة أو الهلاك](١) .

ومن هذا الفريق ، الشهرستانى ، البغدادى ، ابن القيم ، الأسفراينى ، أبو الفرج الجوزى ، عبد القادر الجيلانى(٢) وغيرهم .

وهؤلاء أجهدوا أنفسهم فى تحديد الفرق الثلاث والسبعين، والتنصيص على الفرق الناجية [اعلم أن الله حقق فى إفتراق هذه الأمة ما أخبر به الرسول ﷺ من إفتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية والباقون هلكى .

فهؤلاء الذين ذكرناهم اثنتان وسبعون فرقة،والفرقة الثالثة والسبعون

---

(١) دراسات فى الفرق الإسلامية ، ص ٩١ ج١

(٢) أنظر فى ذلك كتاب الملل والنحل : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ص ٤٦ /١٨٨ ق١ ط ٢ تخريج محمد بن فتح الله بدران . مكتبة الانجلو المصرية ، التبصير فى الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين . أبو المظفر الاسفراينى ص ٢١/٢٣ تعريف محمد زاهد بن الحسن الكوثرى مكتبه الخانجى بمصر ١٣٧٤ هـ ، الفرق بين الفرق الغنية لطالبى

هى الناجية ، وهم أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأى وجملة فرق الفقهاء](١) .

ونفس هذا التحديد نجده عند البغدادى(٢) .

وهذا الفريق سلم بهذا الحديث برواياته المتعددة، وقبله على هذا الوضع ، ولذلك فهو يقابل الفريق الأول مقابلة التضاد .

٣ — قبول الحديث مع رفض النص على الناجى والهالك :

وهذا الفريق قبل الحديث ، لكن ليس بتمامه ، وإنما وقف عند العدد فقط ، ولم يقبل نهاية الحديث القائلة [كلهم فى النار إلا واحدة] وحكم بأن القول بأنهم كلهم فى النار إلا واحدة إنما هى زيادة فاسدة ، من وضع الزنادقة ، ويؤيد هذا الفريق الرواية التى وردت قائلة [ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة] وينص الغزالى على أن هذه الواحدة هى فرقة الزنادقة [ستفترق أمتى بضعا وسبعين فرقة كلهم فى الجنة إلا الزنادقة وهى فرقة](٣) .

ويؤيد هذا الفريق رواية الترمذى للحديث الأول، وتعليقه عليه بقوله حديث حسن صحيح .

= طريق الحق فى الأخلاق والتصوف والآداب الاسلامية . عبد القادر الجيلانى الحسنى ص ٨٥/٩٤ ج ١ . ط ٣ — ١٣٧٥هـ ١٩٥٦ م شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ، دراسات فى الفرق الاسلامية ص ١١ ، تلبيس ابليس أبو الفرج الجوزى ص ٦/١٠ دار القادسية للنشر والتوزيع .

(١) التبصير فى الدين ، ص ٣٠/٣١

(٢) أنظر الفرق بين الفرق ص ١٠

(٣) فيصل التفرقة : حجة الإسلام الإمام الغزالى — الجواهر الغوالى — مطبعة السعادة ص ٩٢

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود : (ولكن مما يدعو إلى الارتياح ويثلج الصدور ، أن الشعرانى فى ميزانه قد روى من حديث ابن النجار ، وصححه الحاكم بلفظ غريب ، وهو : ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة إلا واحدة ، وفى رواية عن الديلمى : الهالك منها واحدة .

وفى هامش الميزان عن أنس عن النبى ﷺ بلفظ : تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، كلها فى الجنة إلا الزنادقة)(١) .

وما جاء فى هامش الميزان عن أنس بن مالك ، وما جاء فيه أيضاً عن طريق الحافظ ابن حجر باللفظ السابق ، يتفق مع ما جاء فى رواية الغزالى ، وهذه الروايات وإن كانت ليست فى شهرة الرواية القائلة بأنهم (كلهم فى النار إلا واحدة) إلا أنها تعارض الرواية المشهورة ، وقد صححها الحاكم ، ومال إليها بعض العلماء (ومما يسرنى ما جاء فى الحديث آخر أن الهالك منهم واحدة)(٢) .

وما دام الحديث قد روى بروايتين متعارضتين فى آخرهما ، فإنه يمكن القول بأنهما تعارضا فتساقطا ، ويبقى صدر الحديث مقبولا من الطرفين ، وخصوصا أنه جاء فى بعض الروايات بدون ذكر للهالك والناجى ، حيث يقف الحديث عند ثلاث وسبعين فرقة فقط ، وهى الرواية المذكورة فى صدر هذا البحث رقم ١ ، ولذلك حكم ابن الوزير فى كتابه (العواصم والقواصم) بأن تحديد الهالك والناجى هو من وضع الملاحدة (إياك أن تغتر بزيادة كلها فى النار إلا واحدة ، فإنها زيادة فاسدة ، ولا يبعد أن تكون من دسيس الملاحدة)(٣) .

---

(١) التفكير الفلسفى فى الإسلام ج ١ ص ١٠٦

(٢) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين د/سليمان دنيا ق ١ ص ١٧٠ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه

(٣) نقلا عن دراسات فى الفرق الإسلامية ص ١٣ ج ١

٤ — قبول الحديث ورفض مفهوم العدد :

هذا الفريق قبل الحديث برواياته المتعددة ، وقبوله ليس مشروطا بحذف [كلهم فى النار إلا واحدة] لأنه قبلها كجزء من الحديث ثبتت صحتها عنده ، ومع ذلك فإن له رأياً فى فهم هذا الحديث يميزه عن الفريق الثانى ، ومدار هذا الرأى على مفهوم العدد الوارد فى الحديث ، فإذا كان الفريق الثانى قد التزم بالعدد الوارد فى الحديث برواياته المتعددة ، فإن هذا الفريق لم يلتزم بذلك ، لأنه ذهب إلى أن العدد لا مفهوم له ، واستدل على ذلك بالقرآن الكريم .

يقول المرجانى معبراً عن رأى هذا الفريق : [ولكن الحق عندى أن المراد من قوله ثلاثاً وسبعين ليس الغاية والتحديد ، بل المبالغة فى التكثير ، إذ قد شاع استعمال السبعين فيه .

وورد على ذلك فى الأحاديث والآيات وجرى مجرى الأمثال فى كلام العرب وأرباب اللغـــات ، كما فى قوله تعالى : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » .

وقوله تعالى : « فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » .

وقوله ﷺ « استغفر الله فى كل يوم سبعين مرة » .

وقوله : « من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم سبعين خريفا ، وذلك لاستعمال السبعة على جملة أقسام العدد من الوتر ، والشفع ، والعشرة على كماله والسبعين على كثرتها ، فكان كأنه العدد بأسره](١) .

(١) ح المرجانى على ش العقائد العضدية . جـ١ ص٢٥ — درسعادت ١٣١٦ هـ العقائد لعضد الدين الايجي ، والشرح لجلال الدين الدوانى =

هذا هو موقف العلماء من حديث الفرق الذى روى بروايات متعددة مختلفة، وبقى بعد ذلك أن نسأل، هل المراد من أمتى الواردة فى الحديث، أمة الإجابة أم أمة الدعوة ؟

اختلف العلماء فى الإجابة عن هذا السؤال، فالبعض ذهب إلى أن الأمة هى أمة الدعوة. حيث أن رسول الله ﷺ — بعث للعالم أجمع، وبذلك يكون الثلاث والسبعين فرقة ليست خاصة بالمسلمين، وإنما هى شاملة للعالم أجمع، وهؤلاء يرون أن الكفر كله ملة واحدة وباقى الفرق تكون ناشئة من داخل المسلمين.

هذا إن تقيدنا بالعدد المذكور فى الحديث، أما إن ذهبنا إلى أن العدد لا مفهوم له، وإنما المقصود به هو التكثير فقط، فانه حينئذ يصبح المجال أمامنا واسعا، أى لا مانع من أن نجعل الكفر كله ملة واحدة، أو أكثر من واحدة، فنحن حينئذ لسنا مقيدين بعدد محدد نلتزم به.

والبعض ذهب إلى أن المراد بالأمة : أمة الإجابة، [وهم الذين آمنوا به — ﷺ فإن أكثر ما ورد فى الحديث على هذا الأسلوب، أريد به أهل القيامة](١).

وذلك حيث أنه عليه السلام قد أضاف الأمة إلى نفسه، وهذا يشعر بالتشريف والتعظيم.

والظاهر من الحديث أن المراد هو أمة الإجابة وليس أمة الدعوة.

= وانظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى — مكتبة الكليات الأزهرية ص ١١٧

(١) شرح العقائد العضدية - جلال الدين الدوانى، ص ١٤ حـ ١ در سعادت ١٣١٦ هـ

ويقيد العلماء الاختلاف الواقع بين الفرق بالاعتقـــاد ، لا مطلقا ، وذلك لأن الاختلاف في الفروع لا يوجب الافتراق ، حيث أن مدار وأساس تكوين الفرق إنما هو قائم على أصول واعتقاد كل فرقة ، والتي على أساسها تكونت الفرق ، وتميز بعضها عن بعض .

ونحن من جانبنا نرى :

أولا : أن حديث الافتراق ، قد روى بروايات متعددة ، يقوى بعضها البعض الآخر ، ولذلك فإننا نقبل الحديث ، ولكن لا نقبله على إطلاقه ، وإنما نقبل ما أجمعت عليه جميع الروايات ، وهو أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة فقط ، ونرى أن هذا أمر طبعي فالافتراق والاختلاف سنة من سنن البشر ، ولازم من لوازم الحياة ، أما ما جاء في بعض الروايات من أن إثنتين وسبعين فرقة في النار والثالثة والسبعين في الجنة فإننا لا نقبلها ، لأنها معارضة برواية أخرى تقول بأن كلهم في الجنة إلا واحدة ، فعجز الروايات قد تعارض بعضه مع بعض .

ولذلك نقول أنهما تعارضا فتساقطا ، وإن كان بعض العلماء يحاول الجمع بينهما بأن الثنتين والسبعين فرقة المحكوم عليهم بأنهم في النار ، إنما ذلك باعتبار الورود اعتمادا على قول الله تعالى (وإن منكم إلا واردها) .

والرواية القائلة بأن الثنتين والسبعين في الجنة ، أن ذلك باعتبار المآل .

[ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة ، فتكون الهالكة واحدة ، وهي التي تخلد في النار .

وتكون الهالك عبارة عمن وقع اليأس عن صلاحه لأن الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير ، وتكون الناجية واحـــدة وهي التي تدخل الجنة بغير

حساب ولا شفاعة ، لأن من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج إذا ، ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج أيضاً على الإطلاق .

وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره ، وباقي الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين ، فمنهم من يعذب بالحساب فقط ، ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة ، ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقائدهم وبدعتهم ، وعلى كثرة معاصيهم وقلتها ، فأما الهالكة المخلدة في النار من هذه الأمة فهي فرقة واحدة ، وهي التي كذبت وجوزت الكذب على رسول الله ﷺ](١) .

ونحن لا نمانع في قبول ما ذهب إليه الإمام الغزالي من توفيق وجمع بين الروايات المختلفة والتي تضاربت في عجزها ، وإن كنا نرى أن الأولى والأفضل هو قبول الحديث مع رفض عجزه ، لأن أشهر روايات الحديث وهي التي قال عنها الترمذي [حديث حسن صحيح] وقفت عند حد الافتراق ولم تحدد كم فرقة في الجنة وكم فرقة في النار ، كما أن كثيرا من العلماء وقفوا من هذه الزيادة موقف الرفض وعدم القبول .

وإن كان البعض من العلماء قد قبل تلك الزيادة ، واعتمد عليها وإذلك عدد الفرق المنبثقة من الأمة الإسلامية ، ثم قام بتحديد الفرقة الناجية .

كما أن الإمام الغزالي في توفيقه وجمعه بين روايات الحديث ، إنما اعتمد في ذلك على رحمة الله سبحانه وتعالى ، وشفاعة المصطفى عليه السلام ، ولكننا لا نجزم هل مثل هذه الفرق ستشملها الرحمة وتلحقها الشفاعة ؟ أم لا ؟ هل كل ما اقترفته تلك الفرق وابتدعته داخل في نطاق الرحمة والشفاعة ؟ أم لا ؟

---

(١) فيصل التفرقة — ص ١٠١ ، ١٠٢ .

وهل الرحمة والشفاعة ستنال كل هذه الفرق؟ أم بعضها فقط؟

إن هذا كله متروك لمشيئة الله سبحانه وتعالى الذى قال: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فيجوز أن يغفر ويرحم كل هذه الفرق، ويجوز أن يحجب مغفرته ورحمته عنها، اما كلها أو بعضها، واما كل أعمالها واما بعضها.

ولذلك نقول أن الأولى الوقوف فى الحديث عند حد الافتراق فقط.

وأيضاً فإن النص على فرق هالكة وأخرى ناجية يتعارض (مع أصل من الأصول المتفق عليها، وهى تلك القاعدة التى تقول: بأن المجتهد إذا أصاب له أجران، وإذا أخطأ له أجر واحد، وليس هناك شك فى أن كثيراً من أصحاب الفرق إنما انشقوا عن إجتهاد واعمال رأى، وإعتقاد بأنهم على صواب وأن غيرهم على خطأ)(١).

ثانيا: قبولنا للحديث ليس معناه قبول التحديد بثلاث وسبعين فرقة، وإنما نذهب إلى أن هذا التحديد ليس مقصودا لذاته، وإنما معناه التكثير فقط لا غير، أى أن العدد هنا لا مفهوم له، وقد سبق أن وضح المرجانى ذلك عند الكلام عن العلماء الذين قبلوا الحديث مع رفض مفهوم العدد.

وبناء على ذلك فاننا نرفض ما ذهب إليه بعض العلماء من تحديد الثلاث والسبعين فرقة، مع تعيين الفرقة الناجية، ومن الملاحظ أن كل فرقة أقامت الأدلة من وجهة نظرها على أنها الفرقة الناجية، وغيرها من الفرق الهلكى، فها هو الجلال الدوانى على سبيل المثال يذهب كما ذهب إليه غيره من العلماء السابقين عليه مثل البغدادى والاسفرايني وغيرهما.

---

(١) دراسات فى الفرق الإسلامية جـ١ صـ١٥١

إلى أن الفرقة الناجية هى فرقة الأشاعرة ، (فإن قلت : كيف حكم بأن الفرقة الناجية هم الأشاعرة ، وكل فرقة تزعم أنها الناجية ؟

قلت : سياق الحديث مشعر بأنهم المعتقدون لما روى عن النبي ﷺ وأصحابه وذلك إنما ينطبق على الأشاعرة ، فإنهم يتمسكون فى عقائدهم بالأحاديث الصحيحة المروية عنه ﷺ وعن أصحابه رضى الله تعالى عنهم ، ولا يتجاوزون عن ظواهرها إلا لضرورة ولا يسترسلون مع عقولهم ..)(١) .

وها هو ابن المطهر الحلى يذهب إلى أن الشيعة الامامية هى الفرقة الناجية ، (قال ابن المطهر الحلى فى بعض تصانيفه بقد باحثنا فى هذا الحديث مع الأستاذ نصير الدين بن محمد الطوسى فى تعيين المراد من الفرقة الناجية ، فاستقر الرأى على أنه ينبغى أن تكون تلك الفرقة مخالفة لسائر الفرق مخالفة كثيرة ، وما هى إلا الشيعة الإمامية فإنهم يخالفون غيرهم من جميع الفرق مخالفة بينة ، بخلاف غيرهم من الفرق فإنهم متقاربون فى أكثر الأصول)(٢) .

وباق الفرق تنهج نفس هذا النهج ، أي باثبات أن فرقتها هى وحدها الناجية وغيرها هالكى .

أن العلماء الذين حددوا الفرق الثلاث والسبعين فرقه ، حصروا هذه الفرق بعصرهم وما قبله فقط ، ونسوا أو تناسوا بأن عصرهم ليس آخر العصور فى تاريخ البشرية ، مع أنهم يعلمون جيدا أن الدين الإسلامى باق إلى يوم الدين ، أى إلى انتهاء تاريخ البشرية ، فكيف يجوز لهم أن

---

(١) ش العقائد العضدية ص ٧٠

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة

يحكموا على العصور التي تلي عصرهم بأنه لن تنشأ فيه فرق أو حتى فرقة واحدة ، إن ما حدث منهم ماهو إلا تحكم بلا دليل ، ودليلنا على ذلك هو ظهور فرق بعد إنتهاء عصور هؤلاء العلماء الأفاضل .

ثم ان هؤلاء العلماء قد اختلفوا فيما بينهم فى حصر الفرق ، فنهم من جمع فرقتين فى فرقة واحدة ، ومنهم من فرق فرقة واحدة عند غيره ، وجعلها هو أكثر من واحدة ، أى أنه لا يوجد قانون موحد بينهم يكون هو الفيصل فى حساب الفرق وحصرها فى الثلاث والسبعين ، فكل واحد منهم عد الفرق وأحصاها طبقاً لمنهجه هو فى الحصر والتحديد ، ولذلك اختلفوا فى تعيين الثلاث والسبعين فرقة، كما اختلفوا فى تحديد الفرقة الناجية

إننا نقول : إن تشعب الفرق ونشوءها قائم بقيام الأمة الإسلامية المرتبطة بانتهاء تاريخ البشريه، نقول ذلك : لأنه لا يوجد فى الحديث ما يفيد قصر ظهور الفرق بوقت محدد وعصر معين ، بل إننا نفهم الحديث على أنه اخبار من رسول الله عليه السلام بأن أمة الإسلام ستختلف من بعده إلى فرق كثيرة ، بدون تحديد هذا الاختلاف بعدد معين من الفرق ، ولا بوقت معين من الزمان ، لأن الافتراق مرتبط بالمسلمين المسلمون تاريخهم مرتبط بتاريخ البشرية ، وتاريخ البشرية مرتبط بيوم الدين .